# مؤتمر النقد الأدبي الخامس
# بجامعة جرش الأهلية (٧-٢٠٠٢/٥/٩ )

**د . عادل الفريجات***

عقد في رحاب جامعة جرش الأهلية ، فيما بين ٧-٢٠٠٢/٥/٩ مؤتمر النقد الأدبي الخامس تحت عنوان : (( النص الأدبي العربي والمثاقفة الحضارية )) .

وشارك في هذا المؤتمر ثمانية وعشرون باحثاً من الأردن وسورية والعراق ولبنان والسعودية ومصر والجزائر والمغرب . وألقى هؤلاء الباحثون (٢٨) بحثاً على مدى أرْبع جلسات .

وألقيت في الافتتاح كلمة الأستاذ الدكتور خالد العمري رئيس الجامعة والأستاذ الدكتور محمد ربيع عميد كلية الآداب والأستاذ الدكتور أحمد فتيح رئيس قسم اللغة العربية وآدابها .

وبعد الافتتاح بدأت جلسات المؤتمر الرسمية، فترأس الجلسة الأولى د. محمد ربيع عميد كلية الآداب بجامعة جرش الأهلية وتحدث فيها ستة باحثين هم : د. عبد القادر الرباعي ( الأردن) ، ود. محمد خرماش (المغرب) ود. حازم سليمان (العراق) ود. بشرى البستاني (العراق) ود. منصور عيد (لبنان)،ود. محمد الحارثي (السعودية) .

وتوقف د. الرباعي (الأردن) عند مثاقفة استشراقية معاصرة بعنوان ((ريناتا ياكوبي وتطور بناء القصيدة العربية القديمة )) . فعرف بالدكتورة (ياكوبي) ، فهي أستاذة الأدب العربي القديم في برلين بألمانيا . ولها بحوث متعددة في مجال الأدب العربي عامة والأدب القديم خاصة . ومن أهم بحوثها

(( أصول شكل القصيدة)) ، و(( الناقة مقطعاً من قصيدة المديح )) وقد أشار د. الرباعي إلى أنه ترجم هذين البحثين ، ثم راح في مداخلته يناقش آراء هذه المستشرقة التي لاحظت أن موضوع الناقة بدأ يتلاشى بالتدريج من القصيدة القديمة مع مرور العصور الأدبية .ورأت أن ماقاله ابن قتيبة حول قصيدة المديح في مقدمة كتابه : "الشعر والشعراء " لاينطبق على أي قصيدة قيلت قبل الإسلام ، فحسان بن ثابت مثلاً لم يضمن قصائده المدحية حديثاً عن الناقة ... وانتهى صاحب البحث الى أن منهج د. ياكوبي هو منهج إحصائي انتقائي ، ولكنه لم يعقب على هذا المنهج بشيء.

أما د. محمد خرماش (المغرب) فقد كانت ورقته حول ثقافة التجريب في الرواية المغربية . و بعد أن قدَم لبحثه بإشارات موجزة حول التجريب في الرواية ، أشار الى أن ( فلوبير) في (( مدام بوفاري)) كان أول من أحدث تغييراً في التأليف الروائي ، وتابعه فيما بعد مجددون ومجربون أخر، مثل جيمس جويس ومارسيل بروست وناتالي ساروت .

وكان من سمات التجديد التخلي عن صورة البطل ومراوغة المضمون وإفساح المجال لتشكيلات لغوية مبتكرة ، واستشراف قيم جمالية جديدة ، واعتماد الحوار الداخلي ، والتخلي عن التقنية المفرطة وعن الخطية الزمنية ، وإقامة جدولة متراكمة ، وطرح المتناقضات، واعتماد الوصف المفصل ، وعدم تقديم رؤية عن العالم . وكان من أبرز محاولات التجريب في المغرب في نظر ( د . خرماش ) ماكتبه أحمد

* قسم اللغة العربية- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة دمشق.

المديني ، ومحمد برادة ، والميلودي شغموم . وقد وقف الباحث عند رواية ((عين الفرس))لشغموم لتكون نموذجاً للتجريب الروائي في المغرب .

أما الباحث حازم سليمان ا لناصر ،(العراق) فكانت ورقته عن ظاهرة العبثية واللاجدوى في الرواية العربية المعاصرة . وبعد مناقشة له حول فكرة العبث من الزاوية الفلسفية ، أشار الى بعض الروايات العبثية في الغرب ، كالغثيان لسارتر ،واسطورة سيزيف ، لالبير كامو . أما أمثلته علىالرواية العبثية في محيطنا العربي فكانت تتمثل برواية ((المهزمون)) لهاني الراهب و((اللص والكلاب)) لنجيب محفوظ و((السجين))لأنيس زكي حسن ،و((السد)) لمحمود المسعدي ،(( وجيل القدر)) لمطاع الصفدي، و((حياة تافهة)) لمنى جبور.

وتمحورت ورقة الباحثة بشرى البستاني من جامعة الموصل بالعراق حول دراسة قصيدة للشاعر الفلسطيني خالد علي مصطفى عنوانها ((سيف علي أمام باب خيبر )). وفيها درست أربعة عناصر هامة هي: العنوان ، وحركات القصيدة ، وغرابة التشكيل ، والتناص، فالعنوان يقدم مرجعية دينية ، لأن علياً هو أول فدائي في الإسلام ، والتشكيل يقدَم توليفات جديدة في اللغة كقول الشاعر: " دفتر الدمع وصراخ الطيور" . والتناص يشير الى نص مثقل بالذاكرة وبتواشج النصوص وحوارها . وهو يمثل اعتصاراً للنصوص ، وليس استنساخاً لها .

وقد أثبتت د. بشرى البستاني في ورقتها هذه أنها ناقدة جيدة كما هي شاعرة جيدة نشرت العديد من المجموعات الشعرية .

وتلبث د. منصور عيد (لبنان) في مداخلته عند موقع النص الأدبي اللبناني في حركة التفاعل الحضاري من بدايات القرن العشرين حتى اليوم . وأشار الى أن روافده متنوعة ، فهي محلية وعربية وغربية وطائفية وسياسية وإقليمية . ومحاوره أيضاً متعددة ، فمنها المحور الإنساني ، وتمثله أعمال نعيمة وجبران ، ومحور تواصلي بين الشرق والغرب ،ومحور تفاعلي بين معطيات الواقع اللبناني والواقع العربي، وأشار الى أن المعاصرة في هذا الأدب تنفتح على موضوعات حضارية تشغل العالم اليوم ، مثل حقوق الإنسان والحريات العامة والحق في الثقافة وديمقراطية التعليم وحماية البيئة .

وكان الباحث السادس في هذه الجلسة (د. الحارثي) ، وهو أستاذ النقد الأدبي في قسم الدراسات العليا بجامعة أم القرى . وقد وقف في ورقته عند المثاقفة الشعرية بين التقليد والاستيعاب ، وميَز بين منطلقين أساسيين هما: تصورنا ، وتصوَر الآخر للكون ، فمرجعيتنا العربية المعرفية مرجعية شرعية ذات خطاب إلهي أحادي في نظره ، ومرجعية الغرب المعرفية مختلفة . والفرق بيننا وبينهم أن ثقافتنا ثقافة تشاكل ، وثقافتهم ثقافة تغاير . بعدئذ انتقل للحديث عن قصيدة التفعيلة التي نهض بها كل من نازك الملائكة والسَياب والبياتي ، وأشار الى تقليدها الشعري من زاويتي الشكل والمضمون .

أما الجلسة الثانية فكانت برئاسة د.وجيه فانوس من (لبنان) ، وهو المنسَق العام لهذا المؤتمر . وتحدث فيها سبعة باحثين هم : د. يوسف غيوة(الجزائر) ود. ياسين طه حافظ(العراق) ، ود.يونس فقيه (لبنان) وأ.شهلا العلي(سورية) ود، محمد صابر عبيد (العراق)، و.د مصلح النجار( الأردن) ،ود. عبد الله أبو هيف (سورية) .

وكانت ورقة د.( غيوة) حول فاعلية المثاقفة الحضارية في جدلية الإبداع والتلقي بين الجاحظ وأرسطو في كتاب" الحيوان" للجاحظ . وفيها أشار الباحث الى تفاعل الحضارة العربية مع الحضارات القديمة في العصر العباسي ،ثم انتقل الى التفصيل في مستويات التفاعل بين أرسطو والجاحظ في مجال المعلومات المتصلة بالحيوان، وكانت هذه المستويات ثلاثة هي : ١- الرفض للمعلومة ٢- التشكيك فيها ٣- قبولها . وكان شرط الجاحظ لقبول المعلومة وجود الشاهد والمثل ، كما كان يخضع المعلومة الأرسطية للتجربة ولموافقتها للثقافة الشعرية العربية .

ومن الجدير بالذكر أن بحث د . غيوة هذا ثمرة من ثمار مختبر السرديات ، الذي أسسه الباحث المذكور في جامعة قسنطينة منذ عدة سنوات .

وكانت ورقة د. حافظ (العراق) بعنوان ((...ملامح وأفكار عربية في الآداب الغربية)) والمعروف أن (د. حافظ) قد رأس تحرير مجلة الثقافة الأجنبية في بغداد لسنوات كثيرة . وفي ورقته لهذا المؤتمر كشف عن أثر ملحمة جلجامش في رواية لوليتا لنابوكوف وفي الحرب والسلام لتولستوي. وأشار الى التشابه بين ملحمة جلجامش والالياذة ، فالعناصر الأربعة التي تقوم عليها الملحمتان واحدة ، والأبطال فيها متشابهون، فالإنسان نصف الإله يتكرر في الملحمتين، وكذلك قضية المصير الإنساني..

وأشار إلى تأثر الشاعر الروسي بوشكين بالقرآن ، ولوركا الاسباني بالأدب العربي .وفي ختام ورقته أوضح أن أصل الرباعية والسوناتا في الشعر الأوروبي له جذور عربية ومشرقية .

وتلبَث د. يونس فقيه (لبنان) عند فاعلية التثاقف الحضاري عبر الأدب العربي ((شعر الحداثة نموذجاً)) وفيها عرض لمفهومات الثقافة والحضارة والمثاقفة ، ثم انتقل الى اشكالية النص وحدوده ، ليصل الى الظاهرة الأدبية بوجوهها المختلفة ، ووقف بايجاز عند تجربة نازك الملائكة وتجربة جماعة شعر ، وانعكاس التجربتين على مدونة الشعر العربي .

وفي ورقة الآنسة شهلا العجيلي من جامعة حلب اطلع المؤتمرون على أثر أدب الرحلات في المثاقفة الحضارية، من خلال نصوص عبد السلام العجيلي، الذي كتب عن الغرب معايناً لاناقلاً . وبث الشرق واقعاً وأحلاماً . ومن كتب العجيلي التي أشارت اليها الباحثة في هذا الباب كتابه: (( دعوة الى السفر)) ، ومن قصصه ((حكاية شارب الماء )) .

أما د. محمد صابر عبيد ( العراق ) ، فقد كان الجنس الروائي محور مداخلته ، وفيها درس بعمق رواية ((خسوف برهان الكتبي )) للروائية العراقية لطيفة الدليمي ، فعرض لسيمائية العنوان وسلطة السرد والشخصية المركزية في هذه الرواية ، وتقنية الرسائل ، والتعاطي مع الموروث الشعبي .أما موضوع هذه الرواية فهو الحصار الجائر على العراق، وفعله في الناس من خلال بطل الرواية (برهان ) الذي لايلبث أن يفلت من جوف الحوت، ليسترد سطوعه ولمعانه في عتمة السماء .

أما مصلح النجار (الأردن) فقد وقف عند حالة من المثاقفة المرفوضة ، وهي عنده تجربة توفيق صايغ الذي نشر كتابه ((ثلاثون قصيدة)) وهي لون من كتاب الشعر الحر. وقد زعم هذا الباحث أن سمات هذه التجربة غير موجودة في الدراسات النقدية، ونماذجها لم تحظ بنقد جوهري، غافلاً عن أن ثمة دراسات جادة عن قصيدة النثر التي ينتمي اليها كتاب (صايغ) (( ثلاثون قصيدة)) عديدة نذكر منها على سبيل المثال لاالحصر دراستي : فاروق المغربي ، ويوسف جابر، المقدمتين الى جامعة تشرين في اللاذقية ، وكتاب محمد العباس: ضد الذاكرة – شعرية قصيدة النثر ، وكتاب عز الدين المناصرة : إشكاليات قصيدة النثر الصادر في العام ٢٠٠٢. وقد نوقش هذا الباحث من قبل كاتب هذا السطور ومن باحثين آخرين لم يروا رأيه في تقريره بأن مجموعة ((حزن ...في ضوء القمر)) للماغوط هو أول قصيدة نثر ، فسريال لأورخان ميسر أقدم من مجموعة الماغوط المشار اليها هاهنا .

وكان محور مداخلة د. عبد الله أبو هيف (سورية) حول سعد الله ونوس وانطونيو باييخو الإسباني . ومن خلال هذه المداخلة ، التي نشر عنها أيضاً دراسة في مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية ( مج ١٧ ع ٢٠٠١/١ ) للدكتور غسان السيد ، عرض د. أبو هيف للتناص القوي بين مسرحية ونوس ((اغتصاب)) ومسرحية باييخو(( القصَة المزدوجة للدكتور بالمي )) .

وأشار الى إفادة ونوس من تجارب بريخت في كسر الإيهام ومد الخشبة الى الجمهور ، وذلك في مسرحية (( حفلة سمرمن أجل ٥ حزيران )) والى التماثل بين بعض مسرحيات ونوس ومسرحيات بيراندييللو الإيطالي ...

أما الجلسة الثالثة فقد رأسها د. أحمد فليَح رئيس قسم اللغة العربية بجامعة جرش الأهلية . وكان المتحدثون فيها ستة هم : د. محمد العيد تاورته (الجزائر) ود. خليل الموسى (سورية) ود. هدى الحديثي (العراق) ود. سالم المعوش(لبنان) وعبد الستار جواد (العراق) وسهيل مطر (لبنان) .

ووقف د. تاورته عند رواية جزائرية تعد الأولى في التأليف الروائي بالعربية في ذلك القطر ، وهي رواية (( غادة أم القرى)) . وتعد هذه الرواية في الجزائر مثل رواية (زينب) في مصر . والمعروف أن صاحبها أحمد رضا حوحو كان ثمرة تزاوج ثقافتين غربية ومشرقية ،وكان غادر الجزائر الى الحجاز ، وتعلم فيها العربية وعلومها ، بعد أن حذق الفرنسية واطلع علىآدابها . وشخصيات روايته شخصيات حجازية . وهي تتمحور حول المرأة والضغوط الاجتماعية التي تتعرض لها .

أما (د. خليل الموسى ) فقد عرض في ورقته للمكونات والمؤثرات في القصيدة العربية الحديثة فصبّ اهتمامه على مجموعة التفاعلات الأدبية مابين الشرق العربي والغرب الأوربي ، والفرنسي منه خاصة ، بدءاً من الفتوحات الكبرى للرومنسية ، وانتهاء بأحدث التيارات الأدبية . وقد لاحظ تأثير الرمزية المحدود في الشعر العربي ، وربط بين شعر المدينة في الأدب العربي المعاصر وشعر (ت.س.اليوت)، كما هي الحال عند أحمد عبد المعطي حجازي ،كما عرض(د.الموسى )لمكونات القصيدة الحديثة، فكانت لديه مكونات أسطورية وتاريخية وأدبية .

وفي هذه الجلسة توقفت (هدى الحيثي) من العراق عند ثلاثة اتجاهات في شعر جميل بثينة ، هي الاتجاه البدوي والاتجاه الحجازي والاتجاه العذري . ومما أشارت اليه هذه الباحثة أن (بثينة) حبيبة جميل كانت قبيحة ، ولكن جميلاً عكس مافي نفسه وقدم صورتها غير الواقعية في شعره .

وتلبث د.( سالم المعوش) من لبنان عند رواية ((علم الدين)) لعلي مبارك من مصر ، التي عدت مشروعاً حضارياً يقيم الحوار مابين الشرق والغرب في قالب روائي .ومن خلالها قدم المؤلف في مايزيد على ألفي صفحة معارف حول الشرق وعظمته ،والغرب وتقدمه . وقد عدت هذه الرواية المنشورة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر من أوائل التجارب الروائية العربية .

ووقف (د. عبد الستّار جواد ) من العراق عند تأثير (( ألف ليلة وليلة )) في فن القصة الانجليزية ، وخاصة في حكايات كانتربري ، وفي غيرها من القصص ،حتى إن (شكسبير) نفسه تأثر بها أيضاً . وأبرز سمات هذا التأثر هو توليد قصة من قصة . وقد أشار (د.جواد) الى أن مؤلف قصص ألف ليلة وليلة، هو الجهشياري صاحب كتاب (( الوزراء والكتاب )) .

ثم تحدث أخيراً د. سهيل مطر من لبنان عن جبران خليل جبران ، فأشار أولاً الى المثاقفة بين الشرق والغرب التي وقعت منذ زمن بعيد، ولم ير فيها غزواً ، بل تفاعلاً وتواصلاً . وقد كان جبران مثالاً على المثاقفة بين عالمين فهو صاحب (١٦) كتاباً نصفها بالعربية، ونصفها بالأنكليزية . وقد مثل كتابه "النبي " محطة بارزة في نتاجه ... وكان خطابه خطاب الحرية والتطرف حتى الجنون ، فهو لايقدس مايقدسه الناس ، وله ايمانه الخاص وجرأته التي أعلن من خلالها إيمانه بالروح وبالأخوة الانسانية .

وكانت الجلسة الرابعة والأخيرة برئاسة د. سالم الحمداني . وتحدث فيها كل من د. حسن كاتب (الجزائر) وطه عبد البر (مصر) وعبد الرحمن مراشده (الأردن ) وكاتب هذه السطور (سورية ) وابراهيم جنداري جمعة (العراق) .

وقد وقف ( د. كاتب ) عند مالك بن نبي ، بل عند كتابه المعنون بـ (( مذكرات شاهد قرن)) بوصفه يمثل مظاهر السجال بين الثقافتين الفرنسية والعربية . والمعروف أن (بن نبي) هو من مدينة قسنطينة العربية. ونصَه هذا يشبه نصوصاً أخرى من حيث المثاقفة الحضارية بين العرب والغرب ، ""كعصفور من الشرق"" "لتوفيق الحكيم ، و "قنديل أم هاشم " ليحيى حقي .

وكانت ورقة د. عبد البر حول التناص في شعر البارودي ، وفيها عرض الباحث لوجود هذه الظاهرة في النقد العربي القديم فيما يسمى التضمين أو الاقتباس،وأشار الى المعارضات بوصفها ظاهرة تناصية. أما أشكال التناص عند البارودي فتمثلت في التضمين والاقتباس وتناص القوافي .

وكانت ورقة د. المراشدة عن أدونيس والحداثة في النقد العربي، وقد عرض فيها لكثير من أطروحات هذا الشاعر الناقد ، وعن مرجعياته الحداثية وأثرها في توجيه منهجه ، مع تأثير الفعل الاستشراقي في ذهنيته النقدية .

وكانت وقفة كاتب هذه السطور عند ((إشكالات قصيدة النثر)) . وفيها تلبت عند ثلاثة بنود هي إشكال المصطلح، وإشكال الشعرية في نصوص هذه القصيدة ،ثم إشكال التطبيق.

وقد لاحظ وجود أكثر من خمسة وعشرين مصطلحاً لهذا اللون الإبداعي الجديد الذي ظهر في أوائل القرن العشرين مع تعمق صلات العرب بالغرب ، وترجمة أشعاره الى العربية ، ولاحظ إشكال هذا المصطلح الذي يجمع بين جنسين مختلفين هما :الشعر والنثر .ثم ناقش آراء نقاد حاولوا التنظير له مثل بول شارول وفندها . وانتهى الى أن قصيدة النثر جنس أدبي يجمع بين أجناس مختلفة ويوسع مفهوم الشعرية العربية، ولكن أزمته تتمثل في استسهاله ، وفي سعيه للوصول الى نظام له . وانتهى بعد وقفة تطبيقية عند خمسة نصوص من قصيدة النثر لخمسة شعراء سوريين مختلفين . .. وانتهى الى أن الجديد يرحب به شرط أن يتنزل محدوداً بنظامه . وفرَق بين القيد والنظام، إذ لا فن بلا نظام .

وقد انتهى هذا المؤتمر الى مجموعة من التوصيات كان أهمها :

١-الدعوة الى الانفتاح القومي والوطني على الآخر ضمن مفاهيم المثاقفة الحضارية التي تؤمن بالتفاعل والتواصل .

٢- الدعوة الى نشر نتاجات الثقافة العربية على مستوى عالمي .

٣-دعوة الجامعات والمؤسسات الثقافية لعقد مؤتمرات دولية حول المثاقفة الحضارية .

٤-العناية بعناصر التأثير الحضاري العربي على الثقافات الأخرى .

٥-دعوة جامعة جرش لطباعة أعمال هذا المؤتمر ضمن اصدارات عمان عاصمة للثقافة العربية للعام ٢٠٠٢ .

٦-اقتراح أن يكون موضوع المؤتمر القادم بعد سنتين(( المثاقفة الحضارية للتراث العربي في المجالات الأدبية)) .

ثم تقدم المشاركون بعبارات بالشكر والثناء والتقدير لجامعة جرش الأهلية لجهودها المبذولة في إنجاح هذا المؤتمر . وطالبوا هذه الجامعة أن يكون عقد هذا المؤتمر كل سنتين تقليداً راسخاً ، لما يوفره لها من سمعة طيبة ،وما يتركه من أثر عميق في حركة النقد الأدبي في الأردن خاصة والوطن العربي عامة .